كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

مؤلّفاتُ خلقِ الإنسان

دراسة وصفيّة تاريخيّة

إعداد

د / عبدالله بن عبدالعزيز الوقيت

كليّة اللغة العربيّة والدراسات الاجتماعيّة
جامعة القصيم/ السعودية

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الخامس ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

لقد حفظ الله اللغة العربية، وهيأ لها من أسباب البقاء ما مكنها من الاستمرار لقرون، وستظل إلى قيام السّاعة؛ ومن هذه الأسباب كثرة التآليف في مختلف مجالاتها، وفنونها، وقد سخر الله لها من العلماء الأفذاذ الذين أثروها تأليفا وتحقيقا، ونشرا لكل علومها، وهذا مصداق لقوله تعالى:(إنّا نحنُ نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظُون)، وحفظ القرآن الذي تعهد الله بحفظه يستلزم منه حفظ لغته؛ لأنّ اللغة العربية هي لغة القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وإيمانا بهذا وتأكيدًا له أجدُ علماءَ اللغة طَرقُوا كلّ العلوم المتعلقة بها، حتى أدق التفاصيل فيها، ألفوا فيه، فهم لم ينسوا ألفاظ جوارح الحيوان وأنواعه، فضلا عن الإنسان، وأعضائه، وصفاته–وهو أحق بالعناية–فأخذوا يبحثون عن مسميّات تلك الأعضاء، والجوارح في اللغة العربية، وصفاتها فعمدوا إلى تأليف مؤلّفات خاصة تبنوا فيها الأحوال والصفات المختلفة التي تعتري كل عضو من أعضاء الإنسان، وما يستحسن منها وما يستقبح، وما يطرأ على كل عضو من أعضائه من أمراض وعلل، ومعرفة أسماء تلك الأمراض والعلل وصفاتها، وهذه المؤلّفات تسمّى معاجِم، أو معجمات المعاني، أو المعجمات المتخصصة.

وأهمية هذا البحث تكمن في شيء مما يأتي:

١- قلة تلك المعجمَات بين الباحثين المحدثين، بسبب كون أكثرها مخطُوطًا لم ير النور إلى اليوم، مما يجعل المطبوع منها نادرا .

٢- كون هذا البحث يتحدّث عن نوع من أنواع المعجمات المتخصصة التي تخدم موضوعا واحدا، والحاجة ماسّة إليه في هذا العصر؛ مما يستدعي التعريف بتلك المؤلفات ونفض الغبار عنها، ولفت الباحثين إليها؛ نظرا لسهولة اقتناء مثل تلك المعْجَمات لصغَر حجمها وأهميّة موضوعها .

٣- قدم التأليف في هذا الفنّ، حيث سبق التأليف في المعجمات الواسعة بزمن، وكون أكثر المؤلفين فيه ممن أخذ عن الأعراب مشافهة .

٤- أيضا لعلّ من أهمية البحث في هذا الفنّ كونه يتحدّث عن مفردات الإنسان ومعاني ألفاظ أسماء أعضائه، وصفاتها .

ويهدف هذا البحث إلى عدد من الأهداف، منها:

١- إبراز دور علماء اللغة الأوائل في الاعتناء بمفردات اللغة على وجه العموم، وبمفردات خلق الإنسان وألفاظه على وجه الخصوص .

٢- المشاركة في نشر تلك المعجمات وبيان أهميتها .

٣- الوقوف على المطبوع من تلك المؤلفات والموجود منها، والمفقود .

٤- التعرف على بعض تلك المعجمات لما لها من أهميّة كبرى في حفظ تراثنا العربي الأصيل، والحفاظ على معاني مفرداته وألفاظه.

٥- الوقوف على مناهج المؤلفينَ في هذا الفنّ المتخصّص .

٦- الكشف عن سير التأليف في تلك المعجمات.

وقد سُبِقَتْ بعدَدٍ من الدّراسات حول هذا الموضوع، وأقربها إلى بحثي مما اطلعت عليه:

١- دراسة قام بها الدكتور نهاد حسوبي صالح، ضمن تحقيقه لكتاب السيوطي: (غايةُ الإحسان في خلْقِ الإنْسان) [١].

وهي دراسة جيّدة، ولكنها أسقطت كتابين من كتب خلق الإنسان في عرضها لتلك المؤلفات، وهما كتابا : خلق الإنسان لمحمد بن حبيب، واستعارة أعضاء الإنسان لابن فارس، وهي دراسة مختصرة؛ لكونها تابعة لنصّ يراد تحقيقه، وهي دراسة ركزت على ذكر الفرق بين كتب خلق الإنسان وكتب الفرق، وكتب ألفاظ الحيوان[٢].

٢- دراسة قامت بها الدكتورةُ وجيهة السّطل، بعنوان: جسم الإنسان في معاجم المعاني دراسة تحليلية لغوية[٣].

وبحثي هذا يختلف عمّا سبق؛ حيث إن دراسة الدكتورة وجيهة أسقطت بعض الكتب؛ إذ لم تتمكن من الاطلاع على كتب خلق الإنسان جميعها، فقد سقط من عرضها كتابان، وهما: كتاب (خلق الإنسان) لمحمد بن حبيب، وكتاب (غاية الإحسان) لجلال الدين

(١) نشرته وزارة الثقافة العراقية والإعلام العراقية عام ١٩٨٩م .

(٢) ينظر : الكتاب ٦٥-١٣١ .

(٣) من إصدارات دار الفيصل الثقافية عام ١٤٢٢هـ/١٩٩٨م ط١ .

السيوطي، وأن دراستها كانت عرضا لأبواب كلّ كتاب وفصوله، وهي دراسة أقرب ما تكون إلى الدراسة اللغوية التشريحية.

هذا وقد وجدت عناء في جمع مادة هذا الموضوع، وكنت أمام قليلٍ من المصادر سأعتمدها في دراستي، كما سيأتي عرضها، ولقد اخترت خطّة أسير عليها فيه، وهي كالآتي:

بعد المقدمة جعلت البحث مبحثين:

المبحث الأول: التأليف في خلق الإنسان، وتحته المطالب الآتية:

المطلب الأول: تاريخ التأليف في هذا الضرب من المصنفات .

المطلب الثاني: قيمة هذا النوع من المؤلفات .

المطلب الثالث: تطور التأليف فيه من عصر إلى عصر .

المطلب الرابع: علاقة هذا التأليف بالمعاجم اللغوية .

المطلب الخامس: حصر لأهم ما صنّف في هذا الموضوع موجودا، أو مفقودا .

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية، وتحتها المطالب الآتية:

المطلب الأول: الكتب التي تقوم عليها الدراسة ووصفٌ عامٌّ لمنهج تلك الكتب .

المطلب الثاني: مصادر كلّ مؤلّف فيما ألفه .

المطلب الثالث: موازنة بين هذه الكتب في ألفاظها .

المطلب الرابع: ما انفرد به كلّ مؤلّف عن غيره .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

المصادر والمراجع .

المبحث الأوّل

التأليف في خلق الإنسان

وينقسم إلي خمسة مطالب :

المطلب الأول: تاريخ التأليف في هذا الضرب من المصنفات .

المطلب الثاني: قيمة هذا النوع من المؤلفات .

المطلب الثالث: تطور التأليف فيه من عصر إلى عصر .

المطلب الرابع: علاقة هذا التأليف بالمعاجم اللغوية .

المطلب الخامس: حصر لأهم ما صنّف في هذا الموضوع موجودا، أو مفقودا .

المطلب الأول

تاريخ التأليف في هذا الضرب من المؤلفات:

أول تأليف تذكره كتب التراجُم لهذا النوع من التصنيف هو كتاب (خلق الإنسان) لأبي مالك عمرو بن كركرة[١]، ويعّد أوّل من ألف من القدماء في الموضوع الواحد[٢]، لكن لم أجد لهذا العالم عند من ترجم له تحديدا لسنة ولادته، أو وفاته، حتى يمكن من خلاله معرفة تاريخ أول مصنف في هذا النوع، غير أنه عاش قبل أبي الخطاب الأخفش[٣]، أو ربما عاصره قليلا[٤]، وأبو الخطاب الأخفش توفي في عام ١٧٧هـ، فيكون تاريخ تصنيف أول مؤلَّف في هذا الفنّ (خلق الإنسان) محصورا بين عامي ١٠٠هـ و١٧٠هـ لعمرو بن كركرة[٥]، ثم تلا هذا الكتاب بعد ذلك كثير من الكتب التي ألفها عدد من العلماء في خلق الإنسان،

(١) معجم الأدباء٥٠٩/٤، دار الكتب العلمية، بغية الوعاة ٢٣٢/٢، وينظر في ترجمته: بغية الوعاة٢٣٢/٢ .

(٢) ينظر : البحث اللغوي عند العرب ٢٨٨ .

(٣) ينظر في ترجمته : طبقات النحويين واللغويين ٤٠، بغية الوعاة ٧٤/٢ .

(٤)أخبار النحويين البصريين ٦٧ .

(٥) وقد عده الدكتور أحمد مختار عمر من علماء القرن الثاني الهجري . ينظر : البحث اللغوي عند العرب ٢٨٨ .

كالنضر بن شميل ٢٠٤هـ [١]، وأبي عمرو الشيباني[٢]، وغيرهما، وفي أحد مطالب هذا البحث حصر لأهم الكتب المؤلفة في هذا الفن[٣].

ولم أعثر على أي من هذه الكتب المتقدمة الذكر حتى أصل إلى الأصمعي عبد الملك بن قريب المتوفي سنة٢١٦هـ[٤]،حيث وصل إلى الناس اليوم كتابه: (خَلق الإنسان)، ويعدُّ أول كتاب يصل إلينا يختصّ بموضوع خلق الإنسان غير الموسوعات التي عرضت له عرضا ضمن منهجها في جمع كلمات اللغة ومفرداتها على ترتيب معيّن .

وبهذا يعدُّ الأصْمعي رائدًا في هذا المجال، يقول الدكتور حسين نصار:"وصفوة القول في هذا النوع من التصنيف أنه بدأ قبل عصر الخليل، وسرعان ما وصل إلى نظامه الأمثل عند الأصمعي، فلم يستطع من بعده أن يتحرروا منه، إنما اقتصروا على تكميله، وكانت مادة الأصمعي أيضا خميرة لما بعده من كتب حتى المخصص، فالأصمعي هو المعلم الأول فيه، ثم أبو عبيدة معمر بن المثنى[٥]، ثم قمّته عند ثابتِ بن أبي ثابت[٦]، وابن سيده[١] في المادة واكتمال النظام، ولون الأصمعي

(١) ينظر في ترجمته : طبقات النحويين واللغويين ٥٥، بغية الوعاة ٣١٦/٢.
(٢) ينظر في ترجمته : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٧٧، بغية الوعاة ٤٣٩/١ .
(٣) ينظر : المطلب الخامس من المبحث الأول من هذا المبحث .
(٤) ينظر في ترجمته: طبقات النحويين واللغويين ١٦٧، بغية الوعاة ١١٢/٢ .
(٥) ينظر في ترجمته: طبقات النحويين واللغويين ١٧٥، بغية الواعاة ٢٩٤/٢ .
(٦) ينظر في ترجمته : طبقات النحويين واللغويين ٢٠٥، بغية الوعاة ٤٨١/١ .

بعض جزيئات المنهج بألوان بقيت عند غيره أيضا، إذ استشهد ببعض الأحاديث والأشعار، والأخبار، فسار خلفه مؤلفو خلق الإنسان..."[٢].

(١) ينظر في ترجمته : بغية الوعاة ١٤٣/٢ .

(٢) المعجم العربي ١٠٨/١ .

المطلب الثاني

قيمة هذا النّوع من التأليف

تطرق إلى هذه القيمة كثير ممن ألّف في هذا الضرب من التصنيف قديما، وحديثا، فهذا ابن فارس[١]يقول في مقدمة كتابه:"هذا ما يجب حفظه على المرء من خلق الإنسان، فقد نرى من تعمّق في غريب الكلام ووحشيه، وإذا أراد الإخبار عن عضو من أعضائه بوجع يعتريه فيه أومأ إليه باليد قصورا عن معرفة اسمه، وهذا قبيح"[٢].

وهذا الحسن بن أحمد[٣] يقول:"لما تأدَّى إلي – يا أخي– أطال الله في ارتقاء العز بقاءك، وأدام في الآلاء السوابغ عليا‌ءك، وجعلني من حوادث الزمان فداءك فرط إعجابك، وشدة شغفك بقول بعض المناوئين في مجلسك: كم في الإنسان من عضو أول حرف من اسمه كاف؟

وأنه قطع من حضره وحصر من سمعه حثني ذلك على أن أضع كتابا أتحفك به...إلى قوله: لئلا يبعد على الطالب تطلبه، ويصعب على المتعلم تعلمه"[٤].

(١) ينظر في ترجمته: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤/٤٨٠ .
(٢) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس ١٣ .
(٣) لم أقف على ترجمة وافية له .
(٤) خلق الإنسان للحسن بن أحمد ٤٧-٤٨ .

والسيوطي[١] تنبه إلى هذه الأهمية فقال في معرض تقديمه لكتابه:"وبعد: فإن من المهم للمتسمين بسمة العلم أن يحيطوا بأسماء أعضاء الإنسان وأبعاضه وأجزائه، وعوارضه، ويحتووا على اللغات الواردة في ذلك، وهذا أمر كان الصدر الأول شديدي العناية به، والتأليف فيه، وقد انقرض منذ دهر مديد، وآل أمر الناس اليوم إلى الجهل المحض حتى ترى أعيان الناس اليوم المشار إليهم بالعلم لا يعرفون من أسماء أعضاء الإنسان إلا ما تعرفه النساء، والأطفال من الأسماء المشهورة كالرأس والعين واليد والرجل، وما شاكلَ ذلك، ولو سئل الواحد منهم عن تميز كوعه من بوعه لم يعرف ذلك، ولقد سئلت مرة عن الورك والفخذ، هل هما اسمان لشيء واحد، أو مسمى هذا غير مسمى هذا؟

فحداني ذلك إلى الاهتمام بالإحاطة بخلق الإنسان، والتتبع له من كتب اللغة والتأليف فيه"[٢].

وهذه أهمية مباشرة لهذه الكتب من حيث غوصها في معاني ألفاظ خلق الإنسان الدقيقة، وحصرها لها؛ مما جعل لها مكانة كبيرة بين علماء اللغة ومؤلفي المعاجم، إذ اعتمدها عدد منهم في مؤلفاتهم، وكانت إضافة كبيرة للمكتبة العربية المعجمية.

(١) ينظر في ترجمته: شذرات الذهب في أخبار من ذهب

(٢) غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي ٧١-٧٢ .

وتبدو أهمية هذه المعاجم المتخصّصة في هذا العصر ضرورة ملحة؛ حيث تكون مرجعا لكل عالم فيما يخصه ويرومه، "ففي أسماء أعضاء الإنسان والحيوان للطبيب، وفي أسماء الأشجار والحشرات للعالم الزراعي، وفي أسماء الذوات والأعيان لكل عالم بحث، وفي كل باب من الأبواب الكثيرة التي اشتملت عليها هذه المعاجم ما لايستغني عنه صاحب علم، أو صناعة، دع عنك الأدباء الذين يكتبون في معارض شتَّى من المعاني والأوصاف"(١).

فالعالم والمفسّر والمثقف والأديب والمفكر والمترجم، والطبيب، فضلا عن المعجمات اللغوية، كل هؤلاء في حاجة إلى هذه المؤلفات؛ لأنها تثريهم بألفاظ وبمترادفات يستطيعون بها التعبير ووصف أعضاء الإنسان بكل دقة، وفصاحة، كما تحدث بها أهل العربية الأوائل، وعلى هذه المعجمات أيضا اعتمد أصحاب الموسوعات في تأليف موسوعاتهم، ومعجماتهم، وبهذه الأمور وغيرها تبرز قيمة هذا الضرب من التصنيف، وسيأتي أثر هذه المعاجم في كتب اللغويين، واستفادتهم منها في مطلب لاحق من هذا البحث .

(١) جسم الإنسان في معاجم المعاني ١٥ .

المطلب الثالث

تطوّر التأليف في خلق الإنسان:

لا يخفى على كل إنسان ذي بصيرة أن لكل فنّ بداية وتطورا، فكلُّ مَنْ طرق هذا النوع من التأليف له طريقه، وسماته الأسلوبية والمنهجية التي يبرز من خلالها اختلاف مؤلف عن الآخر تطويرا، أو زيادة، أو تلخيصا، أو غير ذلك، وإلا كان اللاحق عن السابق ناقلا، وناسخا، وذلك إذا علمنا أن اللغة واحدة، وأن الموضوع واحد، ومعاني المفردات محدّدة، وهي أسماء أعضاء الإنسان، ويعود التطور إلى كلّ مؤلف فيما أخذ به على نفسه في طريقته، وأسلوب معالجته، وطرحه .

فالأصمعي الرائد الأول في هذا المجال–وقد نذر نفسه لجمع الألفاظ التي تخص العضو الذي يتحدث عنه تحت هذا العضو، فمثلا الرأس يذكر كلّ ما يخصه تحته، وإن لم يقل: باب الرأس، وباب الوجه، وهكذا، بل بدأ حديثه عن العضو بذكر كلمة (ثم)[1]، ومن مظاهر تطور هذا التأليف ما يأتي:

١- الاقتصار على أعضاء الإنسان دون صفاته:

خلت المؤلفات الأولى في خلق الإنسان من ذكر صفاته، إذ لم يضع مؤلفوها لصفات الإنسان بابًا معينًا باسم باب الصفات، وإن كانوا تحدثوا عنها في الكتاب،

(١) خلق الإنسان للأصمعي،١٦٥، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٨ .

ومن أبرز هؤلاء عبد الملك بن قريب الأصمعي، بينما تجد من جاء بعده قد وضع للصفات بابًا خاصًا، وإن لم يكن نهجًا مستمرًا، ومن هؤلاء الزجاج[١].

٢- التبويب المستقل للصفات:

قلت : إنّ من مظاهر التّطور وضع بابٍ للصفات، كما فعل الزجاج،، وقد تطور هذا أكثر عند السيوطي، حيث اعتنى السيوطي بالصفات اعتناءً كبيرا، فوضع لها أبوابا مستقلة تلي أسماء العضو المتحدّث عنه، وهذا هو منهجه الذي نهجه في كتابه[٢]، ومعروف أن السيوطي بعد استيعابه لجميع ما أُلِّف في هذا حاول التجديد، ولكن كان إلى محاولة استقصاء جميع الألفاظ والأوصاف التي نطقت بها العرب أقرب لمنهجه، ومع هذا يعدُّ عمله هذا تطويرا، أو مرحلة من مراحل التطوير لهذا التأليف .

٣- ذكر أسماء أعضاء الرجال دون النساء، والعكس:

حيثُ وضع بعض المؤلفين ذلك بأسلوب خاص، حيث نحا الإسكافي والحسن بن أحمد إلى هذا المنهج، مما يعدّ نوعا من أنواع التطور في

التأليف[٣]، إذ لم يظهر هذا الأمر عند من سبقهم.

(١) خلق الإنسان للزجاج ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٥٧، ٥٩، ٦٢ .

(٢) غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي ٧٨، ٩٣، ٩٩، ١٠٦، ١١٤، ١١٩، ١٢٤، ١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٦ .

(٣) خلق الإنسان للإسكافي ١٥٠، خلق الإنسان للحسن بن أحمد ٦٥، ٦٧، ٩٤، ٩٥، ١١٢.

٤- من مظاهر التطوّر أيضا الحشد اللغويّ الدقيق للعضو المتحدّث عنه :

حيثُ اعتنى بعض المؤلفين بأعضاء الإنسان بطريقة الحشد لها من الألفاظ مما يجعلهم يصلون إلى وجهة أخرى عضوية تشريحية لهذه الوقفات اللغوية[1].

هذا مما يسعني ذكره من مظاهر التطور لهذا النوع من التأليف.

(١) خلق الإنسان للإسكافي ٤٢، ٤٧ ، ١٢٦، ١٢٧، ويكاد يكون هذا سمة كتابه .

المطلبُ الرابع

علاقة هذا التأليف بالمعجم اللغوي:

أستطيع القول: إن كل ما جمعه أصحاب هذه المؤلفات وحشدوه من المفردات في خلق الإنسان اعتمدها مؤلفو الموسوعات اعتمادا كبيرا، وعولوا عليها كثيرا، فهي بحق مصدر أصيل لهم أقاموا مؤلفاتهم على النقل منها، ولم يقتصر الأمر على كتب خلق الإنسان فحسب، بل جميع معاجم المعاني قد أكثروا من الأخذ منها، ولم يشيروا من قريب، أو بعيد إلى مصادرهم تلك(١)، وبما أني بصدد الحديث عن كتب خلق الإنسان أضرب لذلكَ أمثلةً عَلى مَا أَقُول، قال الأزهري:" أَبُو عبيد عَن الْأَصْمَعِي : فِي الْقوس: كَبِدُها، وَهُوَ مَا بينَ طرَفي العلاقة، ثمَّ الكُلْية تَلِي ذَلِك، ثمَّ الأبهرُ يَلِي ذَلِك، ثمّ الطَّائِف، ثمَّ السِّيَةُ وَهُوَ مَا عُطِفَ من طرَفيها .

وَفِي حَدِيث مَرْفُوع:(٢)(وتُلْقِي الأرضُ أَفلاذَ كبِدِها) أَي تُلقِي مَا دُفِنَ فِي بَطنهَا مِن الْكُنُوز، وقيلَ إِنَّهَا ترمي مَا فِي بَطنهَا مِن معادن الذهبِ والفِضَّة"(٣).

فالأزهري قد أخذ هذا من الأصمعي الرائد الأوّل في التأليف في خلق الإنسان، وأيضا استند الأزهري على هذه المؤلفات، حيث نقل عن النضر بن شميل

(١) انظر: لسان العرب ٢٩/٥، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٨٩، ١١٥، ٤٣٦، وهذا للتمثيل فقط . دار صادر .

(٢) الحديث رواه مسلم بلفظ (تقيء) بدل (تلقي) المسند الصحيح لمسلم ٧٠٢/٢ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٧٤/١٠ مادة (

قوله:" وَقَالَ ابْن شُمَيْل:الشج أَن تفلق الهامة فَينْظر هَل فِيهَا وَكْس أَو دم. قَالَ: والوَكْس أَن يَقع فِي أُمّ الرَّأْس دم أَو عِظَام أَو يُصِيبهَا عَنَت"(١)، وكتاب النضر ابن شميل مما فقد من كتب خلق الإنسان.

وأيضا قال محمد بن حبيب البغدادي(٢):"الكرد: العنق"(٣)، قال الشّاعر(٤):

وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّر خَدّه ضَربناهُ تحتَ الأُنثَيين عَلى الكَردِ

نقل هذا ابن منظور(٥)، وإن لم ينسبه إلى صاحبه الأول، ومصدره، وابن منظور قد نسب كثيرًا من مواده، وكثيرًا من الأشعار التي نقلها في كتابه إلى أصحابها، ولكن هذا مثال على أن أصحاب الموسوعات كان همهم جمع المادة، وإن لم يكن من مناهجهم نسبة القول إلى صاحبه دومًا، وتعَدّ كتب خلق الإنسان نوعًا من معجمات المعاني التي يعتمد ويعوّل عليها كثيرًا.

(١) تهذيب اللغة ٢٥١/٣.
(٢) ينظر في ترجمته : طبقات النحويين واللغويين ١٣٩، بغية الوعاة ٧٣/١ .
(٣) خلق الإنسان لمحمد بن حبيب ٥٦ .
(٤) البيت من الطويل، وهو للفرزدق، وتجده في مجمل اللغة لابن فارس ١٠٤/١، المحكم والمحيط الأعظم ٧٤٨/٦ .
(٥) لسان العرب ٣٨٩/٥، مادة (كرد) .

ومن أمثلة ذلك قول ابن منظور:" قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: الَّذِي ذكرهُ الأَصمعي في خلق الإنسان أَنه يُقال عَنَّست المرأَة، بِالفَتح مع التّشديد، وعَنَسَت، بِالتَّخْفِيفِ، بِخِلاف ما حكاه الجوهريُّ"(١).

فقد نقل ابنُ منظور عن ابن برّي عن الأصمعي من كتابه خلق الإنسان.

ومثله فعل الزبيدي في تاجِ العروس(٢).

على أني رأيت علماء المعاجم الشاملة قد اعتمدوا على النقل من كتب خلق الإنسان التي فقدت، حيثُ رأيتهم ينقلون عن ابن الأعرابي(٣)، وأبي زيد الأنصاري(٤)، وعن الليت(٥)، وغيرهم ممن فُقِدتْ كتبهم في عصرنا(٦).

---

(١) لسان العرب ١٤٩/٦ .
(٢) تاج العروس ٢٩٠/١٦ .
(٣) ينظر: تهذيب اللغة ١١٦/١، ٢١/٢، ١٤٢/٨ .
(٤) تهذيب اللغة ٢٥٨/٢، ٩٦/٣، ١٧٩/٧ .
(٥) تهذيب اللغة ٣٨/٤ ، تاج العروس ٢٢٨/٧ .
(٦) تهذيب اللغة ٩٢/١٠ .

المطلبُ الخامس

حصر لأهمّ ما صنّف في هذا الموضوع موجودا، أو مفقودا

انبرى للغة العربية علماء أفذاذ، فألّفوا فيها، وحفِظوا تراثها، وإليك ما أُلّف فقط في موضوع خلق الإنسان عدا الذي ألف في مواضيع أخرى متعدّدة، وكان خلق الإنسان بابا من أبوابه؛ لأن منهم من أفرد هذا الفنّ بمؤلفات خاصة هي التي سوف أذكرها، ومنهم من لم يفرد هذا بمؤلفات خاصة، وإنما جاء الحديث فيها عن خلق الإنسان عرضا، وهذه الكتب ليس هنا مجال الحديث عنها(١).

وإليك سَردا لمن أفرد لخلق الإنسان وأسماء أعضائه وصفاته كتابًا خاصًا، مبتدئًا بالموجود منها، مرتبا لها ترتيبا زمنيا(٢)، حسب تاريخ وفاة كلٍّ منهم، مع حديث موجز عن كل مؤلّف وفق ما وقفت عليه، وهي:

أولا: مؤلفو الكتب الموجودة، وهم من تمكنت من الاطلاع على كتبهم، وهم:

١- الأصمعي(٢١٦هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان) وقد قام بتحقيقه ونشره الدكتور همفنز أوغست، ضمن كتابه (الكنز اللغوي في اللسن العربي)،

(١) منها : أدب الكاتب لابن قتيبة، والغريب المصنف لابن سلام، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده، وغيرها.

(٢) اتبعت في الترتيب كلًا من : د. خليل العطية محقق كتاب البغدادي، ود. إبراهيم السامرائي محقق كتاب الزجاج، والأستاذ. د. خضر عواد محقق كتاب الإسكافي، ود. أحمد خان محقق كتاب الحسن بن أحمد، والأستاذ د. مرزوق علي إبراهيم محقق كتاب السيوطي .

وطبعته مكتبة المتنبي في القاهرة، وهو في الكتاب المشار إليه يبدأ من صفحة (١٥٨ ـ ٢٣٢)، وعمل د. أوغست فيه لا يصل إلى التحقيق المعروف، بل يحسب له سبق النشر للكتاب، وإلا فالكتاب خالٍ من التعليقات والحواشي، وكذلك الإحالات، ولو حقق تحقيقًا علميًّا، لقارب مائتي صفحة، بسبب اشتمال الكتاب على نقول، وعلى أشعار، وقد جعل الأصمعي كتابه هذا أربعة أقسام: القسم الأول: تحدث فيه عن الحمل والولادة، وما يتبعهما، والقسم الثاني تحدث فيه عن أسماء جماعة الخلق، والقسم الثالث تحدث فيه عن جسم الإنسان، مبتدئا بالرأس، والقسم الرابع ذكر أوصافًا تخص الإنسان ذكرًا، كان أو أنثى[١]، دون أن يبوب ذلك تبويبًا معينًا.

٢- أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي(ت ٢٤٥هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان في اللغة)، حققه وعلّق عليه الدكتور خليل العطية، وراجعه وقدم له الدكتور رمضان عبدالتواب، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية عام١٩٩٤م .

وهو كتاب لم يطلع عليه بعض من كتب عن خلق الإنسان من المحدثين[٢]، وهو يقع في ٦٤ صفحة، نصيب النّصّ المحقق منها ١٨ صفحة، ويعدّ الكتاب بمثابة رسالة، وأصله إملاء كما سيتضح من خلال عرض بعض نصوصه، وقد اعتمده الغزي في تأليفه لكتابه، وجعله منطلقا له.

(١) ينظر : كتاب جسم الإنسان في معاجم المعاني ٢٥ .

(٢) كالدكتورة وجيهة السطل في كتابها : جسم الإنسان في معاجم المعاني يطالع ص ٧٨ من المرجع المذكور.

جاء في أوله: "قال أبو عمر محمد بن العباس بن حيوية الخزاز، قال: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الزهري، قال: حدثني أبو نصر الفضل بن العباس بن عبدالحميد، قال : أخبرنا ابن أبي العباس الطوسي، قال:

أملى عليّ أبو جعفر محمد بن حبيب: تسمية مافي البدن مرتبا على حروف المعجم، أوله: [باب الألف]

الأداف: الذكر، والودفة: النطفة.... "[1]، وجاء في آخره:"[باب الواو]

وجنة . وجهٌ . وترة . ورك . وابلة...ووصل وودج. ووربة. ووتين. تم الكتاب والحمدلله تعالى وحده"[2].

٣- ثابت بن أبي ثابت (ت ٢٢٤هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان) وقد قام بتحقيقه ونشره في الكويت الدكتور عبد الستار أحمد فراج بمطبعة حكومة الكويت، وقد اتبع فيه الأصمعي في الترتيب، والتقسيم، واقتفى أثره، ونقل عنه نقولًا كثيرة بنصها، وبالمعنى كثيرا، حتى ذهب بعض الباحثين إلى إمكانية القول بأن كتاب الأصمعي ذائب بأكمله في كتاب ثابت[3].

يقول ثابت في أوله بعد البسملة:"رب يسّر وأعنْ، قال ثابت بن أبي ثابت: هذا كتابُ خلق الإنسان، رويناه عن أبي عبيد والأثرم وسلمة بن عاصم، وأبي نصر

(١) خلق الإنسان في اللغة لمحمد بن حبيب ٤٣-٤٤ .
(٢) خلق الإنسان في اللغة لمحمد بن حبيب ٦٠ .
(٣) ينظر : كتاب جسم الإنسان في معاجم المعاني ٥٤ .

وغيرهم، وابن الأعرابي والأصمعي وأبي زيد الأنصاري عن الكلابيين، وفي كتاب كل رجل ممن سميناهم زيادةٌ على كتاب بعض، وقد جمعنا ذلك ولخصناه وأثبتناه في مواضعه، وإن جاء في كتابنا شيءٌ عن غير هؤلاء الذين سمّيناهم بيَّناه وحكيناه عن أصحابه –إن شاء الله–.

قال الأصمعي: يقال للمرأة أول ما تحمل: قد نسئت تسنأ..." [(١)].

وقال في آخره:"فهذا ما علمنا من خلق الإنسان، والله تعالى أعلم وأحكم"[(٢)].

٤- أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) ، واسم كتابه (خلق الإنسان) وقد حققه د. إبراهيم السامرائي، ضمن كتابه (رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ)، طبع بمكتبة المنار ط١ عام١٩٨٨م، وهو يبدأ من ص ٢١ إلى ٦٤ من الكتاب المذكور، وقد قسم الزجاج كتابه أبوبا حسب عضو الإنسان المتحدّث عنه، فجعل لكل عضوٍ بابا، وفعل مثل ذلك في صفاتِ العُضْو فاصِلا لها عن أسماءِ العضو[(٣)].

جاء في أوّل الكتاب:"أخبرنا الشيخ الإمام العالم الأوحد ناصر السنة أبو الفضل محمد بن ناصر....إلى قوله:...أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري النحوي

(١) خلق الإنسان لثابت ١ .

(٢) خلق الإنسان لثابت ٣٣٠ .

(٣) ينظر : رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ ٢١، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ، وينظر : كتاب جسم الإنسان في معاجم المعاني ٦١ .

الزجاج، قال: هذا كتاب يذكر فيه خلق أسماء أعضاء الإنسان وصفاته على ما سمت العرب، فمن ذلك:

– باب الرأس: فجلدة الرأس الظاهرة يقال لها: الفَروة الشواة، وجلدة الجسد كله ما خلا الرأس، يقال لها : البشرة..." [١].

وجاء في آخره:"وفي الأقدام الفطحاء، وهي التي انبطحت على الأرض ببطنها كله"[٢]، وهو آخر كلمة في الكتاب .

٥- أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، واسم كتابه: (مقالة في أسماءِ أعضاءِ الإنسان)، وهو أشبه ما يكون برسالة، وقد حققه د. فيصل دبدوب، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثاني والأربعون الجزء الثاني سنة ١٩٦٧م.

جاء في أول الكتاب بعد البسملة:"قال أبو الحسين أحمد بن فارس: هذا ما يجب حفظه على المرء من خلق الإنسان..." [٣].

وجاء في آخر:"وهذا أوجز ما يقال في خلق الإنسان، والله أعلم بالصواب..."[٤].

(١) خلق الإنسان للزجاج ٢١ ضمن كتاب : (رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ) .
(٢) خلق الإنسان للزجاج ٦٤ ضمن كتاب : (رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ) .
(٣) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ١٣ .
(٤) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ٢٢ .

وله كتابٌ باسم (استعارة أعْضاء الإنسان)، وقد حقّقه د. أحمد خان، ونشر في مجلّة مجمّع البحوث الإسلامية بإسلام أباد–باكستان .

وهذا الكتاب يتحدث عن استعارة العرب لأعضاء الإنسان في غير استعمالها الأصلي، وهو خلق الإنسان؛ وعليه فقد جاء في أوله بعد البسملة قوله:"قال أحمد بن فارس: هذا ذكر ما استعملته العرب في كلامها وأشعارها من استعارة أعضاء الإنسان في غير خلق الإنسان، ذكرناه موجزا من غير إسهاب ولا إطالة، فأول ذلك الرأس.." [١].

٦- أبو عبدالله محمد الخطيب الإسكافي(٤٢٠هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان في اللغة[٢])، وقد حققه د. خضر عواد العكل، ونشره في دار عمار.
جاء في أوله بعد البسملة قوله:"الولدُ –حين يقع– وليدٌ ومنفوسٌ، ثم صديغٌ إلى سبعة أيام..." [٣].

وجاء في آخره:"باب الحمل والولادة....وقد اغتال الصبي ليسمن: إذا احتبس ما في بطنه، هذا آخر الكتاب والله الموفق للصّواب آمين"[٤].

٧- أبو محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن (عاش بين القرنين:

(١) كتاب استعارة أعضاء الإنسان ٤٨ .
(٢) لم أجد لهذا الكتاب ذكرًا عند من تعرضوا لمؤلفات خلق الإنسان، على الرغم من جهودهم المبذولة في ذلك، حيث عددوا جميع الكتب موجودًا، أو مفقودًا، مطبوعًا، ومخطوطًا .
(٣) خلق الإنسان للإسكافي ٣١ .
(٤) خلق الإنسان للإسكافي ١١٤ .

الرابع والسابع)، واسم كتابه (خلق الإنسان في اللغة) حقّقه ونشره د. أحمد خان في معهد المخطوطات العربية .

يقول في أوله بعد البسملة:"لما تأدّى إليّ يا أخي أطال الله في ارتقاء العز بقاءك، وأدام...وبالله التوفيق، وإياه أسأل العصمة من الزلل، والمعونة على ما يجب من العمل".

إلى أن قال:"باب الألف: أجلاد الإنسان: جسمه، على لفظ الجمع، يقال: فلانٌ عظيم الأجلاد، وضئيل الأجلاد..."(١).

وانتهى الكتاب بقوله:"يرابيع المتن: لحمه .

تم كتاب خلق الإنسان في اللغة تأليف أبي محمد الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن رضي الله عنه"(٢).

٨- جلال الدين السّيوطي(٩١١هـ)، واسم كتابه(غاية الإحسان في خلقِ الإنسان)، وقد حققه د. مرزوق علي إبراهيم، وطبعه في دار الفضيلة، وحققه أيضا الأستاذ نهاد حسوبي صالح، دار صدّام للمخطُوطات، وقد اعتمدتُ الأول.

يقول السيوطي في أوله بعد البسملة:"اللهمّ صلّ على محمّد وآله وصحبه وسلم، الحمدلله خالق الإنسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المحبوّ بالصفات الحسان، وبدائع الإحسان، وعلى آله وأصحابه على مر الأزمان، وبعد:

(١) خلق الإنسان في اللغة للحسن بن أحمد بن عبدالرحمن ٤٧-٤٩ .
(٢) خلق الإنسان في اللغة للحسن بن أحمد بن عبدالرحمن ٣٢٠ .

فإن من المهمّ للمتسمين بسمة العلم أن يحيطوا بأسماء أعضاء الإنسان، وأبعاضه، وأجزائه...." إلى أن قال:"باب أسماء جملة الإنسان يقال للواحد من بني آدم: البشر ذكرًا، كان أم أنثى..." [1].

٩- أبو البركات، بدر الدين محمّد الغزي(٩٨٤هـ)، واسم كتابه (ذكر أعضاء الإنسان)، وقد نشر بتحقيق د. خَليل العطيّة .

ثانيا: مؤلفو الكتب المفقودة، وهم:

١- نصْر بن يوسف صاحب الكسائي (ت ١٩٧هـ) واسم كتابه (خلق الإنسان).

٢- أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٣- النضر بن شميل(٢٠٤هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٤- أبو علي الحسن بن علي الحرمازي[2].

٥- أبو عمر إسحاق الشيباني(٢٠٦هـ).

٦- أبو محمد بن المستنير المعروف بقطرب (٢٠٦هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٧- المفضل بن سلمة(٢٠٨هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٨- أبو عبيدة معمر بن المثنى(٢١٠هـ).

٩- أبو زيد الكلابي (٢١٠هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

١٠- أبو زيد الأنصاري(٢١٥هـ).

---

(١) غاية الإحسان في خلق الإنسان ٧١، ٧٤ .

(٢) ينظر في ترجته : بغية الوعاة ص٢٢٢ .

١١- أبو عثمان سعيد بن المبارك الضرير(٢٣١هـ).

١٢- أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي(٢٣١هـ).

١٣- أبو المنذر نصير بن يوسف بن أبي النصر(٢٤٠هـ).

١٤- أبو ملحم الشيباني (٢٤٥هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

١٥- أبو حاتم السجستاني(ت ٢٥٥هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

١٦- أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري(٢٠٤هـ)، واسم كتابه(خلق الإنسان).

١٧- أبو موسى النحوي المعروف بالحامض(٣٠٥هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

١٨- أبو علي النحوي الأصبهاني المعروف بلكدة(٣١٠هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

١٩- داود بن الهيثم التنوخي(٣١٦هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٢٠- أبو بكر الجعد(٣٢٠هـ)، واسم كتابه(خلق الإنسان).

٢١- أبو الطيب الوشاء(٣٢٥هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٢٢- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(٣٢٨هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٢٣- ابن النحاس أبو جعفر النحوي(٣٣٨هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٢٤- أبو القاسم محمد بن الهيثم العصافي[1].

٢٥- أبو علي القالي(٣٥٦هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

---

(١) انفرد بذكره د. مرزوق علي إبراهيم محقق كتاب السيوطي (غاية الإحسان في خلق الإنسان) .

٢٦- أبو القاسم يوسف بن عبدالله الزجاجي(٤١٥هـ)، واسم كتابه(خلق الإنسان).

٢٧- عبدالله بن سعيد الخوافي(٤٨٠هـ).

٢٨- محمد بن عيسى بن أصبع(٦٢٠هـ)، واسم كتابه (خلق الإنسان).

٢٩- رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني(٦٥٠هـ)، واسم كتابه(خلق الإنسان).

٣٠- علي بن يوسف بن حيدرة الرجبي(٦٦٧هـ).

٣١- ابن بابويه القمي محمد بن أحمد الأمالي.

٣٢- بيان الحق محمد بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي[١].

وغير هؤلاء كثير ممن لم تذكره كتب التراجم، أو ذكرته، ولم أتمكن من الوقوف عليه ، وربما يكون أبو البركات بدر الدين محمد الغزي هو آخر من كتب في هذا الموضوع، موضوع خلق الإنسان في كتابه (ذكر أعضاء الإنسان)، وليس السيوطي، كما ذكر ذلك بعض المحدثين، وهو الدكتور إبراهيم السّامرائي بعد ما سرد العلماء المؤلفين في هذا الفن، فقد قال ما نصه:"ربما يكون آخر من كتب في هذا الموضوع هو السيوطي الذي استوعب الكثير مما صنفه الأوائل، وسماه: غاية الإحسان في خلق الإنسان"[٢].

(١) نسبة (الغزنوي) نقلتها من د. خليل العطية في مقدمة تحقيقه لكتاب محمد بن حبيب ص ٢٦ .

(٢) مقدمة كتاب (رسائل ونصوص في اللغة) ص ١٧ للدكتور إبراهيم السامرائي .

ولم تقف تآليف العلماء عند هذا الحدّ من أجزاء الإنسان، بل تناولوا واهتموا بالحيوان، ووضعوا رسائل وكتبًا في الوحوش والنحل والإبل، بل لقد ألَّفوا مؤلفات سموها (كتب الفرق، أو الفروق)، تناولوا فيها الفرق بين أسماء أعضاء الإنسان، وأسماء أعضاء الحيوان(١)، وليس هذا مجال الحديث عن تلك المؤلفات، وإنما ذكرتُ هذا لبيانِ حرص العلماء على حصر ألفاظ اللغة في كلّ فنّ، وموضوع .

والدراسة هنا مخصّصة لمؤلفات كتب خلقِ الإنسان، ونتيجة لفقدان معظم مؤلفات هذا الفنّ، فقد تحصّل لديّ قليلٌ جدًا منها، وهي التي استعرضتها في أوّل البحث .

(١) ككتاب الفرق بين الآدميين، وبين ذي روح لحاتم السجستاني، وكتاب الفرق لابن جني، والفرق لثابت، وقطرب. ينظر: لكتاب ثابت بغية الوعاة ٤٨١/١ .

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: الكتب التي تقوم عليها الدراسة ووصفٌ عامٌّ لمنهج تلك الكتب .

المطلب الثاني: مصادر كلّ مؤلّف فيما ألفه .

المطلب الثالث: موازنة بين هذه الكتب في ألفاظها .

المطلب الرابع: ما انفرد به كلّ مؤلّف عن غيره .

المطلبُ الأول

الكتب التي يقوم عليها هذا البحث، ووصف عام لمنهجها

قلتُ سابقا : إن معظم التآليف في خلق الإنسان قد فُقدت، كما فقد غيرها من تراثنا الغزير، وقد وقفت على ثمانية فقط من مؤلفات هذا الفن، وهي التي تحدثت عنها في مطلبٍ سابق من هذا البحث(١)، ودونك نظرة عاجلةً إليها في هذا المبحث؛ وذلك للوقوف على منهجها، وهي:

خلق الإنسان للأصْمعي، وخلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت، وخلق الإنسان في اللغة لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، وخلق الإنسان للزجاج، وخلق الإنسان في اللغة لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن، ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان لأحمد بن فارس، وخلق الإنسان لمحمد بن عبدالله الإسكافي، وغاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي .

وقد اختلفت هذه الكتب من حيث المنهج العام لها، حسب ما نهجه فيها مؤلّف كلّ كتاب، وذلك من حيث ترتيب المادة اللغوية على وجه الخصوص، أو من حيث التبويب والتقسيم، أو من حيث الاختصار والإطالة، أو من حيث الاعتناء بمقدمة الكتاب، أو خاتمته، وذلك على النحو الآتي:

(١) ينظر : المبحث الأول : المطلب الخامس من هذا البحث .

أولا: التبويب والترتيب :

قد تباين تبويب أصحاب الكتب المدروسة، وترتيبهم لها، فهم لم يكونوا على منهج واحد في تناول ألفاظ الكتاب ومفرداته الخاصة بالإنسان، فأراهم انقسموا في مناهج تأليفهم لهذه الكتب قسمين:

القسم الأول: الترتيب باعتماد أول أعضاء الإنسان شأنا:

حيث يبدأ المؤلفون المتبعون لهذا الترتيب بذكر أعضاء الإنسان مبتدئين بذكر الرأس وما يتعلق به، ثم الوجه، وهكذا إلى أن ينتهوا إلى ذكر القدم، وما فيها من أجزاء وأعضاء وصفات، ومن أبرز من سار على هذا الترتيب هم:

الأصمعي، وثابت، والزجاج وابن فارس والإسكافي، والسيوطي.

ويلحظ عند هؤلاء فرقٌ يسيرٌ بينهم، فبعضهم بدأ بتناول أسماء أعضاء الإنسان مبتدءا بالرأس مباشرة(١)، وبعضهم آثر البدء بباب الحمل والولادة(٢)،- كمقدّمة- والتفصيل فيه، والتعرف على ما يعترض المرأة في الحمل، ولقب الوليد، وبيان ألقابه حين يولد إلى أن يكبر(٣)، ومنهم من ابتدأ كتابه بباب في أسماء جملة

(١) كالزجاج في كتابه خلق الإنسان ص٢١ وابن فارس في كتابه أسماء أعضاء الإنسان ص ٢٤٥ .

(٢) كالأصمعي ص ١٥٨، وثابت ص ١ .

(٣) كالإسكافي ص ٣١ .

الإنسان[١]، ومن تحدّث منهم عن الحمل والولادة، وجعلها في أول الكتاب لم ينس الحديث عن جملة أعضاء الإنسان[٢]، وكذلك العكس[٣].

وعندما يصل كل واحد ممن ذكرت عند الحديث عن الرأس فأراهم يتفقون في الترتيب، حيث يبتدئون بالرأس، وأسمائه وصفاته، وينتهون بالقدم وأوصافها، وصفاتها.

القسم الثاني: الترتيب على حروف المعجم:

حيث سار المؤلفون المتبعون لهذا المنهج على الترتيب الهجائي، فقد بدؤوا بالحديث عن مفردات خلق الإنسان بأول الحروف الهجائية، فتحدثوا عما يبدأ بحرف الهمزة من الأعضاء أولا، وانتهوا بحرف الياء، وكانوا يذكرون تحت كل حرف الأعضاء التي أولها ذلك الحرف غير مراعين لترتيب اللفظة داخل جذرها، ومن هؤلاء أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي[٤]، والحسنُ بن أحمد(٥)، وأبو البركات الغزّي في كتبهم.

(١) كالسيوطي ص ٧٤ .
(٢) كثابت بن أبي ثابت ص ٣٦، والإسكافي ص ٤٠ .
(٣) كالسيوطي، حيث ذكر الوليد ضمن باب أسماء جملة الإنسان ٧٤ .
(٤) ينظر: خلق الإنسان للبغدادي ٤٤ .
(٥) ينظر: خلق الإنسان للحسن بن أحمد ٤٩-٥٠ .

أبرز الاختلافات بين الترتيبين:

كثـرة أبـواب القسـم الأول: وهـو الـذي اتبـع طريقـة الترتيـب علـى أعضـاء الإنسـان، فأجد أبـواب هذا القسم قد تتجـاوز أربعين بابـا[1]، بينمـا انحصرت أبـواب الكتب في القسم الثاني في عدد الحروف الهجائية، وهي ثمانية وعشرون بابا بعدد الحروف الهجائية[2].

وبالنسبة لمـادة كـل كتـاب فـي القسـمين السـالفين فإنهـا تتسـع عنـد كتـاب، وتضيف عند آخر، وهذا ما أشرت إليه في المبحث الأوّل من هذا البحث .

ثانيا: الاختصار أوالإطالة:

بعض تلـك الكتـب المدروسـة كـان طـويلا، ككتـاب ثابـت بـن أبـي ثابـت(خلق الإنسان)، حيث بلغت صفحات الكتاب الخاصة بالنص المحقق فقط (٣٣٠) صفحة من القطع المتوسط.

وكتاب السيوطي(غاية الإحسان في خلق الإنسان)، إذ بلغت صفحات الكتـاب الخاصـة بالنـص المحقـق (١٥٠) ، ومنهـا مـا هـو مختصـر ككتـاب ابـن فـارس (مقالة في أسماء أعضاء الإنسان) حيث لم يتجاوز النص المحقق في الكتـاب(١٣)

---

(١) ينظر مثلًا: خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت فهرس الكتاب ٣٧٤، وما بعدها .

(٢) ينظر: خلق الإنسان للبغدادي فهرس الكتاب ٧٠ والحسن بن أحمد فأولـه بـاب الألـف ٤٩، وآخره باب الياء٣١٨.

صفحة من الصفحات الكبيرة، ومنها ما كان وسطا بين الإطالة والاختصار، وهي بقية الكتب .

ثالثا: التباين في كتابة المقدمة في الكتب المدروسة:

اختلف منهج مؤلفي هذه الكتب من حيث الاعتناء بالمقدمة، أو الخاتمة وكتابتهما[1]، فللمقدمة أهمية كبرى؛ فهي مفتاح كل مؤلَّف، بها يتعرف القارئ على منهج ما يقف عليه من كتاب، وكيف سار به مؤلفه في تأليفه، وما سبب تأليفه؟ وبها يعرف كيفية التعامل مع الكتاب، والبحث فيه إن كان معجما، وبيان جزئيات تقسيمه، وإيضاح ما يحتاج فيه إلى إيضاح؛ ولهذا فقد اعتنى كثير من المتقدمين بالمقدمة، وأعطوها حقها في التأليف، وتبعهم في ذلك المحدثون فلايكاد يخلو كتاب محدث من مقدمة، أو تمهيد.

وبالرجوع إلى كتب خلق الإنسان لإلقاء نظرة عامة على مقدمة كل كتاب أجد أنها تصنف من حيث التقدمة للكتاب أو عدمها على النحو الآتي:

١- كتبٌ، قدّم مؤلفوها لها بمقدمة وافية، ومن هؤلاء:

(١) نقلت شيئًا عن هذا بتصرف من كتاب (كتب خلق الإنسان) للدكتور نهاد صالح ص ٣٥ .

الحسن بن أحمد، والسيوطي، فقد قدّم كلٌّ واحد منهما لكتابه بمقدمة واسعة، بين فيها سبب تأليفه لكتابه، وأوضح طريقة تناول المفردات فيه، وكيفية تبويبه، وترتيبه، وغير ذلك، فهما بهذا قد وفرا للقارئ والباحث الشّيء الكثير(١).

٢- كتبٌ، قدّم لها مؤلفوها بمقدمة يسيرة:

ومن هذهِ الكتب كتابان، أحدهما: كتاب (مقالة في أسماء أعضاء الإنسان) لابن فارس، حيثُ اكتفى ابن فارس بإشارة يسيرة، أو مأ فيها إلى حاجة الناس إلى التأليف في مثل هذا الفنّ دون التطرق إلى طريقته، أو منهجه في تأليفه لكتابه هذا(٢).

والكتاب الآخر هو كتاب (خلق الإنسان) لثابت بن أبي ثابت، حيث بدأه مؤلفه ببيان مصادره في تأليف الكتاب، وممن استقاه، وممن استفاد منه في بناء كتابه وأخذ مادّته منه(٣) دون التطرق إلى منهجه في الكتاب، وهذه إشارات أرى أنها لاتصل إلى عدها مقدّمة، كاملة الأركان.

٣- كتبٌ، خلت من التقدمة تماما، ومن هذه الكتب كتاب الأصمعي:(خلق الإنسان)، ومثله فعل الزجاج، وأبو جعفر البغدادي، والإسكافي،

(١) ينظر: خلق الإنسان للحسن بن أحمد ص ٤٧-٤٨، وغاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي٧١-٧٣ .

(٢) ينظر : مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، لابن فارس المشار إليه ص ٢٤٥ .

(٣) ينظر: خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ص١ .

حيث أهملَ هؤلاء التقدمة لكتبهم، ولم يصنعوا لكتبهم مقدمة، ولم يولوها اهتماما[١]، فلم يبينوا مناهجهم في تأليف كتبهم، ولا طريقة الترتيب، ولا شيء مما في العادة يسجل في مقدمات المؤلفات.

ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى عدّة أمور، منها أن بعضهم كان يملي كتابه على طلابه[٢]، فكان يملي، وهم يسجلون لإملائه، والأمالي دائما تخلو من المقدمات بأقلام مؤلفيها، وكان هدفهم جمع المادة اللغوية وتدوينها، ولم تكن الحاجة ملحة إلى صناعة المقدمات في زمنهم لأنّ أغراضهم مفهومة.

وأما الخاتمة بشكلها المعروف اليوم فلم يكتبها جميع المؤلفين في هذه الكتب، فقد ختم كل واحد كتابه بالحديث عن مادة الموضوع اللغوية، إلا أنهم اختلفوا فبعضهم ختم كتابه بالحديث عن آخر عضو، وهو القدم، ومن هؤلاء الزجاج، وتبعه السيوطي[٣].

ومنهم من جعل الخاتمة للحديث عن صفات الإنسان، كالأصمعي مثلا[٤]، وفيهم من خصصها لذكر عظام الإنسان وعددها[٥].

(١) ينظر: خلق الإنسان للأصمعي ص ١٥٨، وللزجاج ٢١، وللبغدادي ٤٤، وللإسكافي ٣١ .
(٢) ينظر: خلق الإنسان للبغدادي ص ٤٣ .
(٣) خلق الإنسان للزجاج ٦٣-٦٤، وغاية الإحسان للسيوطي ٢١٨-٢٢١ .
(٤) خلق الإنسان للأصمعي ٢٣١-٢٣٢ .
(٥) خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ٣٢٩-٣٣٠ .

ومنهم من ختمه بذكر مراحل عمر الإنسان باختصار، كابن فارس[١].

وفيهم من خصَّص الخاتمة للحديث عن الحمل والولادة عنهما، وعن الوليد، وصفاته حال الولادة[٢].

وأخيرا من جعل خاتمة كتابه في الحديث عن الأعضاء التي أولها ياء؛ لأن ذلك هو منهجه الذي اختطه لنفسه في تبويب كتابه[٣].

وفي رأيي أن ما سبق جزء أصيل من الكتاب لا يعدّ خاتمة، كما أشرت سابقا .

(١) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ٢٢ .

(٢) كالإسكافي ١٧٣-١٧٦ .

(٣) كالحسن بن أحمد ٣١٨-٣٢٠ وقد سبقه البغدادي في هذا الأمر إلا أن الأخير لم يذكر باب الياء، حيث انتهى عند باب الواو . ينظر : ص ٦٠ .

المطلب الثاني

مصادر كلّ مؤلف فيما ألَّفه

١- خلقُ الإنسان للأصمعي:

كان الأصمعي لغويا بارعا، يلتقي الأعراب، ويحادثهم، ويأخذ عنهم؛ ولهذا لا تجد عنده نقولا عن علماء آخرين؛ فهو الرائد الأول، حيث استقى اللغة من العرب في باديتهم، فهو لم يذكر اسم أحد من العلماء في كتابه، وإنما ذكر أسماء الشعراء والرجاز وأصحاب الأمثال الذين استشهد بكلامهم، وهذه ميزة نادرة عزَّتْ عند غيره .

٢- خلق الإنسان لثابت:

ذكر ثابت من نقل عنهم في مقدمة كتابه، حيث قال:"هذا كتاب خلق الإنسان رويناه عن أبي عبيد، والأثرم، وسلمة بن عاصم، وأبي نصر، وغيرهم، وابن الأعرابي، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري عن الكلابيين، وفي كتاب كلّ رجل ممن سميناهم زيادة على كتاب بعض، وقد جعلنا ذلك ولخصناه، وأثبتناه في مواضعه، وإن جاء في كتابنا شيء عن غير هؤلاء الذين سميناهم بيناه وحكيناه عن أصحابه إن شاء الله"[١].

(١) خلق الإنسان لثابت ص ١ .

فقد ذكر أصحابه الذين نقل عنهم، وإليك الإشارة إلى مواطن نقل كل واحد ممن ذكرهم، فقد نقل عن أبي عبيدة[١]، والأثرم[٢]، وسلمة بن عاصم[٣]، وأبي نصر[٤] وابن الأعرابي[٥]، والأصمعي[٦]، أبي زيد الأنصاري[٧]، وهؤلاء ذكرهم في المقدمة، وإليك بعض من نقل عنهم ممن لم يذكرهم في مقدمته، وهم: إبراهيم بن حرب[٨]، والأحمر[٩]، وأبي عمرو[١٠]، وأبو مالك اللغوي[١١].

---

(١) ينظر: خلق الإنسان لثابت صفحات : ٥، ١٢، ١٤، ١٧، ١٨، ٢٦، ٣٣، ٦٢، ٧٨، ٧٩، ١٦٥، ٢٨٠.

(٢) خلق الإنسان لثابت : صفحات : ٢٣، ٤٠، ٥٣ .

(٣) خلق الإنسان لثابت ص ١٢٥ .

(٤) خلق الإنسان لثابت ص ٢٤٦ .

(٥) خلق الإنسان لثابت صفحات: ٢، ٤، ٧، ٨، ١٧، ٢٣، ٣٢، ٣٥، ٤٠، ٤٦، ٥٩، ٧٨، ٩٦، ١٢٤، ٣١٤.

(٦) خلق الإنسان لثابت صفحات: ٥، ٧، ١٣، ١٤، ١٥، ٣١، ٣٩، ٥١، ٧٣، ٩٦، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٤٤، ٣٠٠ .

(٧) خلق الإنسان لثابت صفحات: ١٢، ٤٦، ٥١، ٦٣، ٩٩، ١١٠، ١٤٤، ١٨٥، ٢١٩، ٢٧٣، ٢٩٥، ٣٢٠ .

(٨) خلق الإنسان لثابت ص ١١ .

(٩) خلق الإنسان لثابت ص : ١٥٥، ١٦٥، ١٧٩، ١٨٠ .

(١٠) خلق الإنسان لثابت ص : ١٤، ٦٤، ٧١، ١٠٠، ٢٦٧ .

(١١) خلق الإنسان لثابت ص : ٤٦، ٤٧، ٥١، ٨١، ٩٤، ١٤٩، ٢٣٥، ٢٨٩ .

وبهذا العرض يتضح مصدر ثابت بن أبي ثابت في تأليفه لكتابه، وهو لم يقصر أخذه عمن ذكرت، فمن ذكرتهم للتمثيل فقط، ومع ذلك فقد شافه الأعراب أيضا ونقل عنهم، والتقى بهم .

٣- خلق الإنسان لأبي جعفر البغدادي محمد بن حبيب:

هذا الكتاب خلا خلوا تاما من الإشارة إلى من نقل عنهم، أو الإحالة إليهم، وصاحبه وهو محمد بن حبيب متقدّم زمنا، وهو لغوي ماهر، فلا يمنع أن يكون مصدره مما تمليه ذاكرته التي قد يكون غذاها من مشافهته للأعراب، أو من ثقافته الواسعة، على أنه عند المقارنة بمن كتب في هذا الفن قبله تجد التشابه الكبير في شرح بعض الكلمات بين كتابه، وكتب من سبقه، ولكن لا دليلَ ملموسا على نقله من هذا الكتاب، أو ذاك، ومؤلَّف محمد البغدادي صغير الحجم جدا، ومختصر، وقد يكون لاختصاره دور في إغفال ذكر أسماء من نقل عنهم، أو استفاد، وهو كتاب ركّز على جمع الألفاظ المتعلقة بأعضاء الإنسان دون أن يشرحها.

٤- خلق الإنسان للزجاج :

لم يشر الزجاج إلى مصادره التي أخذ عنها إلا في موضوعين ذكر فيهما نقله عن الأصمعي فقط[١]، وأنا لا أستبعد أن يكون الزجاج قد أفاد، بل اعتمد على

(١) ينظر : خلق الإنسان للزجاج ٢٤، ٥٥ .

غيره، ونقل ممن سبقوه سواءً الأصمعي، أو ثابت، أبو جعفر البغدادي؛ إذ هو متأخر عنهم، وهم متقدمون، والأخذ عن العرب قد ولّى زمنه في عصر الزجاج .

٥- خلق الإنسان لأبي محمد الحسن بن أحمد:

لم يشر الحسن بن أحمد إلى مصادره في مقدمة كتابه هذا، لكنني وجدته ينسب ما ينقله من ألفاظ ومعانٍ إلى علماء اللغة المعروفين، مثل عيسى بن عمر[١]، والخليل بن أحمد[٢]، وأبي الطيب اللغوي[٣]، والأصمعي[٤]، وأبي الكراع[٥]، وابن خالدية[٦]، والمبرد[٧]، كذلك َينْسِبُ إلى الكتب فيذكرها كالعين للخليل[٨] والأمثال لأبي عمرو[٩]، والمعاني للزجاج[١٠]، والجمهرة لابن دريد[١١]، والمدخل لأبي لأبي عمر الزاهد[١٢].

(١) ينظر: خلق الإنسان للحسن بن أحمد: ١٤١ .
(٢) المصدر السابق : ٨٦، ٧٨، ٩٠، ٩١، ١٠٠، ١٠١، ١٧٤ .
(٣) خلق الإنسان للحسن بن أحمد: ٦٦، ١٧٦ .
(٤) المصدر السابق : ٦٥، ٦٩، ٧٨، ١٠٧، ١٢١، ٢٣٣ .
(٥) المصدر السابق : ٥٩، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٩٤، ١١٧، ١٦٨ .
(٦) خلق الإنسان للحسن بن أحمد : ٩٥، ٩٩ .
(٧) المصدر السابق : ٨٢، ١٧٢ .
(٨) المصدر السابق : ٦٩، ٧١، ٩٥، ٩٨ .
(٩) المصدر السابق : ٥٥ .
(١٠) المصدر السابق : ١٧٠ .
(١١) السابق : ٢٢٢ .
(١٢) ينظر أيضًا المصدر السابق : ٦١، ٩٨ .

إذا مصادر الحسن في كتابه هذا هي أقوال علماء اللغة قبله وكتبهم، وهو لم يحظَ بمقابلة الأعراب، ولا بمشافهتهم؛ نظرا لتأخره.

٦- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس:

إذا عقدت مقارنة بين هذه المقالة، وهي مقالة صغيرة الحجم، وقابلتها بما في كتب الأصمعي، وثابت، وجدت تطابقا واضحا في كثير منها، وهذا أكبر دليل على إفادة ابن فارس ممن سبقه من العلماء، ولكنّه لم يشرْ إلى أيٍّ منهم، لا في المقدمة، ولا داخل الكتاب، وهذا شائعٌ عند العلماء القدماء بكثرة .

٧- خلْقُ الإنسانِ للإسْكافي:

يقال فيه ما قيل عن كتاب ابن فارس من حيث إنه لم ينسب الأقوال إلى أصحابها، وهو بالطبع قد أفاد ممن سبقه، ويُعرَف ذلك بعقد مقارنة سريعة بين ألفاظ كتابه وألفاظ كتاب الأصمعي، وثابت، وبشروحه لها، فهناك تطابق واضح بينهما في شرح الألفاظ، وهذا ستظهره المقارنة في موضع غير هذا _إن شاء الله تعالى_ .

٨- غاية الإحسان في خلقِ الإنسان للسيوطي:

السيوطي يشبه ثابتا في ذكر مصادره، وبيان من أخذ عنهم مادة كتابه، وذلك عند تقديمه لكتابه[١].

(١) غاية الإحسان في خلق الإنسان : المقدمة ص ٧٣ .

حيث ذكر أنه استقى كتابه من كتاب ثابت بن أبي ثابت، وأبي جعفر، والزجاج والعصامي، والفيروزبادي، وهو لم يقتصر على من ذكرهم في المقدمة، بل أورد أقوالا لعلماء آخرين، ونسبها إلى أصحابها، مثل: الكسائي(١)، والفراء(٢)، وقطرب(٣)، والأصمعي(٤)، وغيرهم.

ووجدته كذلك يذكر كتبا أخرى أيضا غير ما ذكر في المقدمة، مثل كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري(٥)، والنوادر لأبي عمرو(٦)، والجمهرة لابن دريد(٧)، والمجمل لابن فارس(٨)، والمحكم لابن سيده(٩).

ومن هذا العرض اليسير يتبيَّن اختلاف مؤلفي خلق الإنسان في ذكرهم مصادر مؤلفاتهم، وعزوهم إليها، وهم على هذا ينقسمون أربعة أقسام:

القسم الأول: لم يشر إلى مصادره، ولم يورد أقوالا لعلماء إلا نزرا يسيرا، حيث لايمكن عدّ ذلك ظاهرة مطّردة لديه؛ لأنه كان يعتمد على مشافهة الأعراب

(١) غاية الإحسان : ١٣٨، ١٦٠، ١٧٥ .
(٢) المصدر السابق : ٩٧، ١٣٦، ١٤٤، ١٧٤ .
(٣) المصدر السابق : ١٢٣، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٨ .
(٤) المصدر السابق : ٨٩، ٩٧، ١٢٣، ١٤٤، ١٥٧، ١٧٩، ٢١٣ .
(٥) غاية الإحسان : ١٩٩ .
(٦) المصدر السابق : ٢٠١ .
(٧) غاية الإحسان : ١٩٩ .
(٨) المصدر السابق: ٢٠٣ .
(٩) المصدر السابق : ٢٠١، ٢٢٠ .

والتلقي منهم مباشرة، والرواية عنهم أيضا، وقد يكون بها اشتهر، ومن هؤلاء : الأصمعي، ومحمد بن حبيب، وكذلك الزجاج.

القسم الثاني: ابن فارس والإسكافي فهما لم ينسبا إلى أي عالم، ولم يحيلا إلى أي كتاب، فكتبهما خالية من الإشارة إلى أي مصدر، وسبق الحديث عنهما.

القسم الثالث: الحسن بن أحمد لم يشر إلى مصادره في تقدمة كتابه، لكنه نسب الأقوال إلى من أخذها عنهم، وأفاد منهم، وإلى كتبهم أحيانا، وهذا يظهر جليا لديه في الكتاب.

القسم الرابع: ثابت والسيوطي فهذان قد أشارا إلى مصادر كتبهما، ومراجعهما في المقدمة، فثابت ذكر مراجعه، ومصادره في مقدمة كتابه، وكذلك فعل السيوطي، وهذا تبين عند الإحالة إلى مقدمته في أول هذا المبحث.

المبحث الثالث

موازنة بين هذهِ الكتب في ألفاظها:

لكلّ من ألّف في هذا المجال أسلوبه الخاصّ به الذي يصبغ به كتابه، ويعطيه تميزا عن غيره من الكتب والمؤلفات .

وقد رأيت تمايز كتب خلق الإنسان في حشد ألفاظ عضو الإنسان المتحدث عنه، وسأكتفي بعرض مبسط كمثال على اختلافهم في حشد الألفاظ للعضو الواحد، وسأمثل لاختلاف حديثهم عن ألفاظ خلق الإنسان مستعينا بالجدول الآتي ليتضح مدى الاختلاف والاتفاق بين هؤلاء العلماء، وقد اخترت من الأعضاء الرأس والعين:

أولا: الرأس :

الأصمَعيّ: ص١٦٥	يقول:"ثمّ الرّأس، فظاهر جلد الإنسان من رأسه وسائر جسده البشرة، وباطنه الأدمة، ويقال للعنان إذا أخرجت: أدمة إنه لمؤدم، وإذا أظهرت بشرته وهي منبت الشعر إنه لمبشر...".
أبو جعفر ص٤٩	يقول:"رأس، رقبة، رضفة...". يكتفي بذكر العضو فقط، وتعداد أعضاء الإنسان دون شرح لها.
ثابت بن أبي ثابت	يقول:"الرأس: فأعلى الرجل رأسه، وهو قلته، وعلاوته،

ص٢١	ويقال في جمعه: قلل، وقلال، وفي العلاوة علاوي...".
الزجاج ص٢١	يقول عن الرأس:"جلدة الرأس الظاهرة، يقال لها : الفروة والشواة، وجلدة الجسد كله ما خلا الرأس، يقال لها: البشرة، وباطنه الجلد والأدمة، ووسط الرأس ومعظمه يقال لها: الهامة...".
الإسكافي ص٤٢	الرأس:"القمة والقنة، والعلاوة، والذروة: الرأس، والشواة والفروة، جلدة الرأس والبشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطن الجلد، والجمجمة جملة العظم الذي يمسك الدماغ والهامة أعلى الجمجمة وقلة الهامة أعلاها، والرماغة وسط الهامة...".
ابن فارس ٢٤٥	الرأس:"فأول أعضاء الإنسان من جهة العلو رأسه، وهو مذكر، وأول ما في الرأس الشعر، وهو جمعٌ واحده شعرة، كتمر وتمرة، ومن ذلك فودان، وهما شعرُ ناصية الرأس، وإذا أظفر فهما الظّفيرتان، والغدائر والذّوائب...".
الحسن بن أحمد	الرأس:"الرأس: معروف، وهو مذكّر، وجمعه رؤوس، والرماغة: يافوخ الصّبي ما دام رطبا، الجمْجُمة عظم الرأس،

ص١٣٣	وفيه الدماغ..".
السيوطي ص٨٤	الرأس:"يقال لأعلى الرأس قلّة وعلاوة، وذؤابة وقمّته وقلته وذروته، والقِمّة أعلى الرأس ووسطه، والهامة وسَط الرأس، وهي وسطه...".

التحليل:

الأصمعي: لم يفسر الرأس، وإنما ذهب يذكر أجزاء الرأس، بينما فسّره ثابت، بعدد من الألفاظ، ومثل الأصمعي فعل الزجاج، حيث ذهب يعدد أجزاء الرأس، بينما أجد الإسكافي والسّيوطي يوافقان ثابتا، وانفرد الحسن بن أحمد بقوله عن الرأس: معروف، وانفرد كذلك بذكر لفظ الجمع للرأس.

وهل هذه الطريقة في التعامل مع ألفاظ الإنسان متسقة، ومطّردة، لأعرض حديثهم مرة أخرى عن العين، فأقول:

ثانيا: **العين**:

الأصمَعيّ: ص١٨٠	**العين:"فجُملة العين : المقلة، وهي شخمة العين، تجمع البياض والسواد، وفي المقلة الحدقة، وهي السواد الذي في وسط البياض، وفي الحدقة الناظر، وهو موضع البصر...وفيها الأجفان، وهما غطاء المقلة من أعلى وأسفل، والشعر الذي ينبت فيها الهدب.**
أبو جعفر البغدادي ص٤٦	**العين: "جفن العين، حرفة، عين، مقلة، مآقي العين".**
ثابت بن أبي ثابت ص١٠٦	**العين: نقله عن الأصمعي، "والعين موضع الحدقة وفي المقلة الدقة، وهو السواد الذي في وسط البياض، والجمع حدق، وحداق، وفي العين الأجفان، لكل عين جفنان،وهما غطاء المقلة من أعلاه وأسفلها، والواحد جفن والشعر الذي ينبت على الجفون الهدب، واحده هدبة" .**
الزجاج	**العين: "شحمة العين التي تجمع البياض والسواد، يقال لها: المقلة، والسواد الذي في وسط البياض يقال له:**

ص٣٢	الحدقة، وفي الحدقة الناظر، وهو موضع البصر...وفي العين الجفان، وهو غطاء المقلة من أعلاه وأسفلها، الواحد: جفن، وفيها الأشفار، وهي حرف الأجفان الواحد شفر".
الإسكافي ص٦٣	العين:"وحجرها الذي هي فيه القلت، والوقب والغار والمقلة والشحمة التي تجمع البياض والسواد وسط البياض والحندرة الدائرة السوداء جوف الحدقة والناظر، والإنسان، والذياب موضع البصر في جوف الحندرة والجفنان غطاء المقلة من أعلى وأسفل، الأشفار: منابت الشعر، والهدب: الشعر النابت على الجفن، والناظران: عرقان من مآقي العينين يسيلان على النف".
ابن فارس ص٢٤٧	العين:"العظم الذي حول العين والجفن الجلدة التي تغطي العين فوق تحت، والشفر: هو منبت الشعر، والهدب الذي على الشفر، موق العين الحرف الذي يلي الأنف والرجف : الذي يلي الأذن اللحاظ، وجملة العين وسوادها وبياضها وهي المقلة، السواد منها الحدقة: إنسان العين وناظرها، وقيل: الناظران: عرقان يسقيان إنسان العين".
الحسن بن أحمد ص١٩٤، ١٩٨، ٢٧٢ .	العين:"معروفة، وهي مؤنثة، وعير العين: ما نتأ من وسط سوادها، والحدقة: سواد العين الأعظم، وجمعها: حدق، يقال للحدقة: الحندرة، والحندورة، والحندارة، وجمعها

	حنادر، والمقلة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد، الهدب: الشعر النابت على حروف الأجفان، وجمعه هداب، الجفن: جفن غطاءها، وجمعه: جفون، أو جفان، ولحجمة العين: لغة يمنية".
السيوطي ١٠٣	العين:"المقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد، يقال للسواد العظيم: الحدقة، والأصفران: الناظر والإنسان، ويقال للحدقة: الحنديرة، والحندورة، ،اليخصة : شحمة العين من أعلى وأسفل، والأجفان: ما عطى المقلة من أعلى وأسفل، والأشفار: حروف الجفان، وأصول منابت الشعر،وأحدهما : شفر...والشعر الذي نبت عليه يقال له: الهدب، الواحد هدبة".

التحليل:

اتفق الأصمعي وثابت والزجاج في حديثهم عن العين في الألفاظ، وقد اعتمد ثابت والزجاج على ما ذكره الأصمعي حولها، إلا أن ثابتا أشار إلى جمع تلك الألفاظ، ونصّ على أنه جمع، ويلحظ أن ثابتا كان تركيزه على ما كان خارج العين أكثر مما هو داخلها، بخلافهما .

وقد لاحظت أن ما بعد هؤلاء قد زادوا بعض الألفاظ على ما ذكره الأوائل، فزاد الإسكافي لفظ (الحندرة)، وتبعه الحسن بن أحمد وزاد فيها من اشتقاقها، ومثله فعل السيوطي، وأما ابن فارس فقد اكتفى بعدد من الألفاظ، كلها قد ذكرها من قبله، ومن بعده، ولم يزد شيئا على من قبله.

بينما اكتفى محمد بن حبيب بذكر الألفاظ سردا دون شرح، كما يظهر، وانتهى حديثه عن العين بعدد يسير من الألفاظ.

هذا مثال عن عضوين مهمين من أعضاء الإنسان، تحدث عنهما مؤلفو هذه المعاجم، وسردوا لهما عددا من الأسماء والصفات، مدعومة بالشرح للمفردة .

وهذا يمكن الاكتفاء به دليلا على وجود الاختلاف بين المؤلفين في سرد الألفاظ أو شرحها.

بالإضافة إلى ما مضى فإن هؤلاء المؤلفين لم ينسوا الحديث عن اللغات الواردة في اللفظة، فكانوا يذكرون ذلك، ويشيرون إليه حرصا منهم على سرد كل ما يتعلّق بمسميات هذه الأعضاء[1].

(١) ينظر: خلق الإنسان للأصمعي١٧٢، ٢٤٣، وثابت ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٢١٤، والسيوطي١٠٤، والسيوطي١٠٤، ١٨٠ .

وهم يدعمون ألفاظهم ويزيدون فيها بنصّ أكثرهم على المذكر من الأعضاء، والمؤنث[١]، فمن ذلك قول ثابت في باب العضد والذراع:"الذراع والساعد واحدٌ إلاّ أن الذراع تؤنّث، والساعد يذكّر"[٢]، وقول الزجاج في باب اليد:"اليد جملة من أطراف الأصابع إلى الكتف، والكتف مؤنثة"[٣]، وقول ابن فارس في العنق:"العنق مذكّر ومؤنث"[٤].

(١) ينظر : نهاد حسوبي صالح ٥٦ .
(٢) خلق الإنسان لثابت ٢١٩ .
(٣) خلق الإنسان للزجاج ٤٨ .
(٤) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس ٢١٥ .

المطلبُ الرابع

ما انفرد به كلّ مؤلف عن غيره .

كان لكلّ مؤلّف من المؤلفين في خلق الإنسان والذين هم عينة الدراسة انفراداته التي تميزه عن غيره، ويمكن تقسيم هذه الانفرادات قسمين:

القسم الأول: **انفرادات منهجية**:

أ- انفراد في التقسيم: حيث أجد الزجاج قد انفرد عن غيره بتقسيم كتابه إلى أبواب، فمثلا جعل بابا للعضو المتحدّث عنه، وبابا في صفة ذلك العضو، حيث فصل صفات العضو، وجعلها في أبواب مستقلة(١).

ب – الإيجاز والإطناب: حيثُ انفرد ابن فارس بهذا بالاختصار الشديد في ذكر أعضاء الإنسان، وصفاته، حيث لم يذكر للعضو من الصفات إلا صفة الرأس والعنق، فقط، وأهمل ذكر أسماء بعض الأعضاء، خاصة الداخلي منها، أو المستقبح ذكره(٢).

والذي أرى أنه أوجز إيجازا شديدا هو ابن حبيب، حيث كان كتابه عبارة عن جمع لألفاظ أعضاء الإنسان دون شرح لها، ودون بيان لمعانيها، وعمله هذا من

(١) خلق الإنسان للزجاج ٢١، ٢٣، وينظر: جسم الإنسان في معاجم المعاني ٦١ .
(٢) ينظر : مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس ١٣-٢٢ .

منهجه في بداية تأليفه، وقد كان جمعه لتلك الألفاظ دون شرح منطلقا لغيره، فقد اعتمد الغزي في كتابه على هذا الكتاب اعتمادا كبيرا.

ج – الاستطراد في غير ألفاظ خلق الإنسان: حيث انفرد الغزي بذلك، حيث ذكر أحد الباحثين أن الغزي كان يذكر جميع الدلالات حول اللفظة، حتى ولو كانت في غير الإنسان، فمن ذلك قوله: " الجاعرة : حلقة الدبر...والجاعرة موضع الرقمتين من است الحمار، ومضرب الفرس بذنبه على فخذيه..." [١].

د– الانفرادُ بالحديث عن بنية الكلمَة ووزنها:

لم أقِفْ على هذا عند من ألّف في هذا الفنّ، ولكن ذكرت الدكتورة وجيهة السّطل بأنّ الغزي "اهتم بالوزن الصرفي للفظة اهتماما كبيرا، لم نجده عند غيره ممن ألَّف في المعاني في هذه الفترة، وخاصة الألفاظ التي تدعو للبس"[٢].

القسم الثاني: انفرادات موضوعيّة:

–الإسْكافي، حيث انفرد بإفراده بابا لفرج المرأة[٣]، وبابا آخر سمّاه : ما للنّساء دون الرّجال.[٤]

(١) جسم الإنسان في معاجم المعاني ٩٦ .
(٢) جسم الإنسان في معاجم المعاني ٨٣ .
(٣) خلق الإنسان للإسكافي ١٤٦ .
(٤) خلق الإنسان للإسكافي ١٥٠ .

الخاتمة

توصّل البحث إلى عدد من النتائج، منها:

-أن التأليف في معاجم المعاني قد بدأ مبكرا، ومنها معاجم خلق الإنسان، حيث ألف أول مؤلف منها في منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا لعمرو بن كركرة.

- أن هذا البحث حصر المؤلفات الموجودة في خلق الإنسان، وأبان عن محققيها وناشريها .

- اتضح أن أوّل كتاب وصل إلى الباحثين في هذا العصر من مؤلفات خلق الإنسان هو كتاب الأصمعي المتوفي٢١٦هـ،واسم كتابه: (خلق الإنسان).

- تبيّن أن مؤلفات خلق الإنسان هي مصدرٌ أصيلٌ من مصادر أصحاب المعجمات الشاملة.

- اتضح أن مؤلفات خلق الإنسان كثيرةٌ، تصل إلى خمسين مؤلفا، وأن الموجود منها فقط تسعة كتب، وكلها مطبوعة.

- كشف هذا البحث أن العلماء في تأليفهم لهذه الكتب قد اختلفت مناهجهم في التأليف لها فمنهم من بدأها بأهم عضو في الإنسان، ومنهم بدأها بمراحل الحمل والولادة، ومنهم من بدأها مرتبا لها على حروف المعجم.

- الوقوف على تنوع علماء اللغة الأوائل في مناهج تأليفهم، حيث وقفت في هذا البحث على تنوع في المناهج، وابتكار لمناهج لم يطرقها من قبلهم، مثلا: كالترتيب حسب أهمية العضو في الإنسان، أو الترتيب المعجمي، وغيرها من مناهج التأليف.

- اتّضح أنّ لكل عالم كَتَبَ في هذا الفنّ بصماته الخاصة فيه، وانفراداته .

المصادر والمراجِع

١- أخبار النحويين البصريين . أبوسعيد الحسن بن عبدالله السيرافي : تحقيق د . محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ، ط (١) ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.

٢- استِعارة أسماء الإنسان لابن فارس، تحقيق د. أحمد خان، مجمع البحوث الإسلامية في باكستان .

٣- البحث اللغوي عند العرب ، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣م.

٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي : تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن مرتضى، الزَّبيدي، حقق مجموعة من المحققين، دار الهداية .

٦- تهذيب اللغة . الأزهري، حقّقه مجموعة من أساتذة اللغة العربية، وعلماء التحقيق.

٧- خلق الإنسان لأبي عبدالله محمد الإسكافي، تحقيق د. خضر عواد العكلي، دار عمار – عمان، ودار الجيل –بيروت .

٨- خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت، تحقيق الدكتور عبد الستّار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م، ضمن سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت.

٩- خلق الإنسان للزجاج، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ضمن كتاب (نصوص ورسائل في اللّغة والأدب والتّاريخ)، ونشره في مكتبة المنار- الزرقاء، الأردن، ط١عام ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م .

١٠- خلق الإنسان لعبد الملك الأصمعي، حقّقه المستشرق همفنز أو غست، ونشره ضمن كتابه (الكنز اللغويّ في اللسن العربي)، نشرته مكتبة المتنبي في القاهرة.

١١- خلق الإنسان في اللغة، للحسن بن أحمد بن عبدالرحمن، تحقيق الدكتور أحمد خان، راجعه وزاد في حواشيه الأستاذ مصطفى حجازي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١ عام١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

١٢- خلق الإنسان في اللغة لمحمد بن حبيب البغدادي، تحقيق الدكتور خليل العطيّة، ومراجعة الدكتور رمضَان عبدالتواب، مكتبة الثّقافة الدينية١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للعالم عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه الأستاذ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيرو، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٤- طبقات النحويين واللغويين . أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي :

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط (٢).

١٥- غاية الإحسان في خلقِ الإنسان لجلال الدين السيوطي، وقد حققه د. مرزوق علي إبراهيم، وطبعه في دار الفضيلة، وحققه أيضا الأستاذ نهاد حسوبي صالح، دار صدّام للمخطُوطات، وقد اعتمدتُ الأول.

١٦- لسان العرب . ابن منظور : دار صادر (بيروت) ط(١) ١٩٩٧م.

١٧- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق، د. زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢/١٤٠٦هـ، /١٩٨٦م .

١٨- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن عليّ بن سيده، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١/١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

١٩- المسند الصّحيح المختصر، للإمام مسلم بن الحجّاج النيسابوري، تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠- معاجم المعاني في جسم الإنسان للدكتورة وجيهة السطل، من إصدارات دار الفيصل الثقافية عام ١٤٢٢هـ/١٩٩٨م ط١.

٢١- معجم الأدباء . ياقوت الحموي : دار الكتب العلمية (بيروت) ط(١) ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٢- المعجم العربي للدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة، ١٩٨٨هـ/١٤٠٨هـ .

٢٣- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، حققه د. فيصل دبدوب، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثاني والأربعون الجزء الثاني سنة ١٩٦٧م. .

٢٤- نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، لعبد الرحمن بن محمد أبي البركات، كمال الدين الأنباري، تحقيق الدكتور إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط٣/١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.